نحو فهم الديمقراطية العسكرية.. بشكل أفضل

بقلم : أبو هشام مقاتل في ج.ش.ت.ف

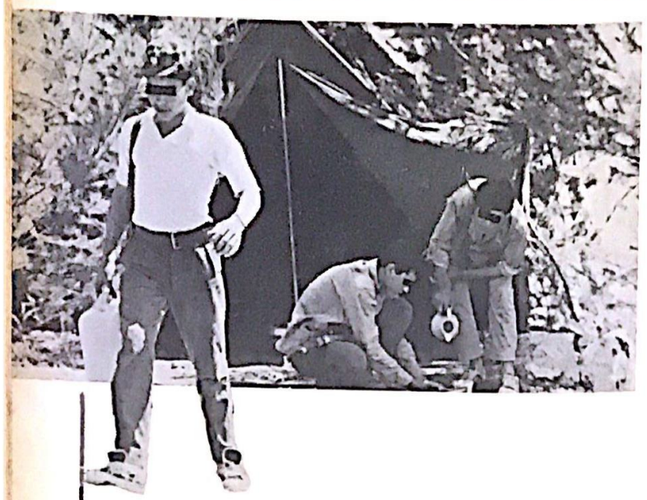

« حتى لا تبني الثورة في الجبل والمدينة قوة غير ثورية – من محاضرات مدرسة الكوادر السياسية العسكرية للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ، دورة ١٩٧٠ » .

١ – مدخل

تشكل القوة المسلحة في كل زمان ومكان اداة قمع اساسية بيد الطبقة الحاكمة ، فاذا كانت الطبقة الحاكمة القلة مستغلة اخذت قواتها المسلحة دورا معاديا للجماهير التي تشكل غالبية الامة ، واصبحت عاملا من عوامل قهر هذه الجماهير . وعندما تنتقل السلطة الى يد الطبقات التي عانت مضطهدة خلال عشرات القرون تصبح القوات المسلحة اداة قمع الاقلية المعادية للثورة والتطور ورفاهية الجماهير ،واداة حماية لمصالح غالبية الشعب الكادح . وينعكس الدور الذي تلعبه القوات المسلحة انعكاسا بينا على العلاقات القائمة في داخلها ، فان كانت اداة بيد غالبية الشعب الكادح امكنها تطبيق الديمقراطية بين صفوفها ، واذا كانت اداة بيد قلة قليلة تعذر عليها ممارسة الديمقراطية ، واضطرت الى بنبي علاقات داخلية مبنية على التمايز والقهر . وهذا ما يجعل تطبيق الديمقراطية العسكرية مقياسا حقيقيا لطبيعة القوات المسلحة ، ودليلا اكيدا على مدى ارتباطها بالجماهير .

وتنسم القوات المسلحة الشعبية ، سواء كانت عصابات ام جيشا ثوريا ، بصفات اساسية اهمها انها قوة منبثقة من غالبية الشعب ، تعمل تحت قيادة طليعة بروليتارية ، وتتسلح بالافكار الماركسية – اللينينية ، وتشن حربا تحريرية تعتمد بالاعتماد على قوة الشعب ، وهذا ما يجعلها قادرة على تحطيم التقاليد العسكرية القديمة ، وتبني اسلوب ديمقراطي سليم يجعل القوة اداة بيد الشعب . وهذا امر طبيعي طالما ان العلاقات داخل القوات المسلحة هي امتداد عضوي للعلاقات السائدة في المجتمع . فاذا كان المجتمع اقطاعيا او راسماليا ... الخ . مبنيا على الاستغلال ، وكان فيه طبقتان واحدة مستغلة واخرى مستغلة وجدنا ان الطبقة المستغلة التي تتمتع بكل فرص الثروة والتعليم تجد مكانها داخل القوات المسلحة في مراتب الضباط ، على حين تأتي الطبقة المستغلة الجاهلة – غالبا – لتعمل كجنود او صف ضباط . وهكذا ينتقل « السيد » الذي يتحكم برقاب « المستضعفين » في الحياة المدنية ليصبح سيدا داخل الجيش التقليدي ، ويستخدم نفس اساليب القهر والاستبداد والاضطهاد التي تعود على استخدامها في الحياة المدنية لتأمين استتباب سلطته . اما العامل والفلاح المستغل في الحياة المدنية حتى نخاع العظم ، فينضم الى مراتب الجيش الصغرى ، ليتابع رحلة البؤس ، في ظل علاقات تسلطية استبدادية تشبه العلاقات التي عاشها في الحقل او المصنع .

وبؤدي تخلص المجتمعات من تكوينها القديم ، وتحطيم العلاقات السابقة ، وبناء علاقات جديدة لا تعرف الاستغلال الى ظهور مجتمع جديد تسود فيه طبقة واسعة (الشعب الكادح) تعمل لصالح المجموع ، وتترابط فيما بينها برواط المساواة، وينتقل افراد هذه الطبقة الى القوات المسلحة حاملين معهم اسلوب العلاقات الجديد المبني على رفاقية الطبقة ، وتضامنها ، ووحدة ارادتها ومصالحها ، وتعطشها لتطبيق الاساليب الديمقراطية ، خاصة وان « الجيش يحتاج الى الديمقراطية بقدر ما يحتاج الشعب اليها » (١)، وما الديمقراطية العسكرية سوى تجسيد ملموس لمبدأ « المركزية الديمقراطية » داخل القوات المسلحة ، وهي تعني ان افراد القوات المسلحة يمارسون الديمقراطية تحت لواء قيادة مركزية تفهم المركزية بشكل ديمقراطي .

وليست فكرة الديمقراطية ابتداعا جديدا ، فلقد ظهر في القوات المسلحة الثورية عدد من الاجراءات والنظم ذات الطابع الديمقراطي قبل ان يظهر جيش الشعب الى الوجود ، ولكنها بقيت ضمن حيز الاجراءات المحدودة المقيدة بظروف تاريخية متعددة ، ولم تتطور الا بشكل مفكك غير كامل .

لم جاءت الثورة الروسية وتلتها الثورة الصينية لتخلق نوعا من القوات المسلحة الحديثة الشعبية . وتمتاز هذه القوات بانها اقامت علاقة جديدة بين الجيش والشعب تختلف عن العلاقات العدائية السائدة بين الجيش الرجعي والشعب منذ الاف السنين ، خاصة وان الجيش الجديد جزء من الشعب ، وخادم له ، واداة لتحقيق حريته . وهو يخدمه بحماس ، ويعتز بابسط الامور التي تهم الجماهير ، ولا يستطيعها او ينهب ممتلكاتها او يدعي بانه صاحب الفضل عليها لانه انجز انتصارات عسكرية باهرة .وهذا ما يخلق وحدة،ولاحما بين الجيش والشعب « وتشكل هذه الوحدة السامية بين الجيش والشعب جدارا دفاعيا منيعا لا تستطيع اية قوة ان تنفذ منه » (٢) .

فاذا اخذنا الصين كمثل على تطبيق الديمقراطية العسكرية ، وجدنا ان الجيش الشعبي الصيني قد رسخ الديمقراطية بين صفوفه حتى غدت اسلوب حياته اليومية ،واصبح يمارسها في العمل والتدريب والقتال . ولكنه لم يتوصل الى ذلك دونما صعوبات . فلقد وقف في وجه هذا التطبيق اصحاب التفكير البورجوازي بالشؤون العسكرية بالاضافة الى كافة اصحاب الاراء والعادات القديمة . ونجحت المعارضة عن خوف كل هؤلاء من الجماهير ، وعدم ثقتهم بقدراتها الخلاقة العميقة .

٢ – جذور المسالة

ليست مسالة الديمقراطية العسكرية مسالة اسلوب ، ولكنها عبارة عن وجهة نظر مبدئية ، وموقف اساسي . فهي الدليل الاكيد على احترام الجماهير والثقة بها . ويظن البعض ان توتر العلاقات داخل القوات المسلحة ، او بين القوات المسلحة والشعب ناجم عن الاساليب الخاطئة ، وهذا ظن لا اساس له من الصحة لانه مسالة احترام الجنود والشعب عبارة عن موقف مبدئي تنبع عنه كافة السياسات والوسائل . وكل انحراف في الموقف المبدئي ينعكس على شكل انحراف بالوسائل والسياسات .

ولقد اكد ماوتسي تونغ هذه الفكرة عندما ذكر المؤهلات الخمسة اللازمة لدعاة الثورة البروليتارية ، واصر على ان من لا يؤمن بالجماهير ولا يعمل باسلوب ديمقراطي صحيح، لا يستحق لقب ثوري . والحقيقة ان الحد الفاصل بين الثوري البروليتاري والثوري البورجوازي هي قدرة الاول على احترام الجماهير والثقة بها وفهم حقيقة دورها التاريخي ،بالاضافة الى ايمانه المطلق بالمبدأ القائل « يجب ان يكون تحرير الطبقة العاملة من مهمة الطبقة العاملة ذاتها » (٣) ، اي ايمانه « بان الحرب الثورية هي حرب الجماهير ولا يمكن شنها الا بتعبئة الجماهير والاعتماد عليها » (٤) وزجها في الصراع على شكل قوات مسلحة ثورية .

وتؤكد كافة التجارب الثورية على ان مثل هذه القوات المسلحة تستمد زخمها من زخم الجماهير ، وبتاثر اندفاعها الى حد بعيد بمدى تعبئة الجماهير واستعدادها للتضحيات . وان ابتعاد القيادات في مرحلة من المراحل عن القواعد، والنظر اليها باستعلاء واستخفاف ، ومعاملة جماهير الشعب العامل والجنود على انهم مجموعة من « الدهماء » يؤدي في نهاية المطاف الى انعزال هذه القيادات عن الجماهير ، وعجزها عن التعامل معها على مبدأ المساواة ، وخوفها من تطبيق الديمقراطية على مختلف اشكالها .

وينبثق عن المسالة المبدئية الاساسية مسالة اخرى هي « التعلم من الجماهير » التي يؤدي تجاهلها الى العجز عن الحصول على ابسط المعارف . فالقاعدة العريضة لجماهير الجنود وقادة الوحدات الصغرى من مختلف المراتب تشارك في المعارك بصورة فعلية مباشرة ، وتحتك مع حقائق القتال ودقائق الموقف الملموس بشكل يومي ، وهذا ما يجعلها قادرة على جمع الاراء والخبرات وتنسيقها والعمل بها وتعميمها بغية مجابهة المشكلات بشكل موضوعي ، وابتكار الاساليب العملية الملائمة للمواقف المتبدلة .وهذا هو « الخط الجماهيري » الصحيح الذي يساعد على تحسين العمل وخوض المعارك بنجاح « وكل من لا يدرك هذه النقطة ، ولا يؤمن بحكمة الجماهير وقدرتها ، ويعتبر نفسه السلطة الاولى في العالم، عاجز عن العمل باسلوب دبمقراطي صحيح »(٥).

ولا يمكن تطبيق « الخط الجماهيري » الا عند سيادة الشعور الطبقي بين الكوادر والمقاتلين ، وعندما يتلاحم كل كادر مع الجماهير والمقاتلين، ويفهمهم ، ويحبهم ، منطلقا من منطلقات الوحدة الطبقية . وعندما يمتد هذا الفهم حتى يشمل الاسرى من جنود العدو ، اذا ما ثبت انهم وذووهم الطبقيين ، لان هذا هو السبيل الوحيد لتطبيق سياسة اربية حيال الاسرى بغية كسب واستمالتهم ، والافادة من هذه الفئة كوسيلة من الوسائل المستخدمة لتفتيت قوات العدو المسلحة .

٣ – ميادين الديمقراطية العسكرية

تقتضي التقاليد الثورية ممارسة الديمقراطية العسكرية في ثلاثة ميادين رئيسية هي : الميدان السياسي ، والميدان الاقتصادي ، والميدان القتالي . ويستهدف العمل في هذه الميادين الثلاثة حركة ديمقراطية في ظل قيادة مركزية تحقيق ثلاثة اهداف رئيسية هي : « درجة رفيعة من الوحدة السياسية ، وتحسين الروح المعنوية ، ومستوى رفيع في التقنية والتكتيك العسكريين » (١) .

أ – الميدان السياسي : تستهدف الديمقراطية العسكرية في هذا المجال تحقيق الوحدة الفكرية والسياسية داخل القوات المسلحة ، وبينها ، والوحدة بين الجيش والشعب .

ولقد توصل الجيش الشعبي الصيني الى الوحدة الداخلية عن طريق استخدام التحليل الطبقي والايديولوجية واسلوب العمل ، وفي الحزب : الانتصاف الطبقي ، وانجاز المصلحة الثلاثة » (في الحزب ، وفي الجيش ، وفي الانتاء الطبقي ، وانجاز المصلحة الثلاثة » (في الحزب ، وفي الجيش ، وفي القتال) ، و « التصويبات الثلاثة » (في التنظيم ، وتعزيز التثقيف الايديولوجي ، وفي اسلوب العمل) حقق الوحدة بين القيادة والجنود و « نقاط الاهتمام الثماني » ، وهي مجموعة من التعليمات التي تحدد علاقة افراد القوات المسلحة مع جماهير الشعب ، وتنظم مخاطبتها والتعامل معها يوميا . وجاءت الفيتنامية والكوبية والكورية لتضع اسلوبا مشابهة تستهدف تخفيف نقاط الاحتكاك بين المقاتلين والافراد الشعب الى الحد الادنى . وتحول من جراء ذلك ان تبدلت نظرة الشعب القاسية الى الجيش تبدلا جذريا ، واخذ ابناء الريف يتوسكان المدن الفقراء يتنافسون في الانضمام الى الجيش الثوري الجديد . وتوصلت الثورة الفيتنامية السياسية الى الفصل النتائج نظرا لتركيزها على وحدة الطبقة ، وعمل المقاتلين والقادة لصالح الشعب كله ، ولصالح المحرومين والمضطهدين اجمع لا لصالح حفنة صغيرة من المستغلين ، وصارت كافة القضايا اليومية الناتجة عن كمسائل تتعلق بالبدأ السياسي ، وطالما يعطيها صورة جديدة موحدة . ويساعد على بشكل جماعي .

ب – الميدان الاقتصادي : تعتبر الديمقراطية الاقتصادية والاهتمام برفاهية المقاتلين من المقاتلين والمسؤولين في الميدان السياسي اساسيا لتحقيق الوحدة الداخلية في الحياة اليومية ، ونقطة انطلاق لوجيد الجماهير وتنمية مبادراتها .

ومن المعروف ان الجنود يخضعون في القوات المسلحة المبنية على الاسس القديمة الى قهر سياسي واستغلال اقتصادي ، وهم يعيشون حياة نائل تكثير من مستوى حياة ضباطهم ، مع انهم يقومون لمشاق مادية ومعنوية اكبر خلال التدريب والقتال .

ويمكن تجنيد الديمقراطية في الميدان الاقتصادي بتحسين معيشة المقاتلين ، وفحص الصعوبات بمعرفة الجميع ، وتشكيل لجان خاصة للاشراف على المطابخ والمطاعم ، والتوصل الى وسيلة تؤمن مشاركة المسؤول والمقاتلين في بعض هذه الامور وبعبرونها « نفاهات » لا تقدم ولا تؤخر ، متناسين ان عدم الاهتمام باحتياجات المقاتلين يبعدهم عن الارتباط بالقيادة ، وان اكتساب جماهير المقاتلين ودفعها لتكريس طاقتها للقتال يتطلب من القيادة « ان تكون معها ، وتثير حماسها ومبادراتها ، وتهتم برفاهها ، وتعمل بجد واخلاص لمصلحتها » .

ويؤدي اشتراك القادة والمقاتلين في الاكل والمعيشة والعمل والتدريب والراحة الى تنمية روح الكفاح وتكران الذات ، والعمل الدؤوب لتحقيق الهدف المشترك ، ويساعد المقاتلين على تفكك الانضباط الواعي ، وتحرك الخلافات والانقسامات في قلب الفرقة ، وتضحي بقدر كبير من فاعليتها . وفي الكتابات عن الحرب الاسبانية اشارات الى الكيفية التي كان المقاتلون وجود قادة يعيشون حياة مرفهة ، ويتمتعون بشتى الامتيازات ، بشكل يعرضهم الى شتى الاغراءات والظلمات والانحرافات ، ويجعل غالبية المقاتلين تتهرهم انانيا متنعمين ، يستفيدون من الثورة، ويستغلون النضال في سبيل مصالحهم الشخصية.

ج – الميدان القتالي : ان ممارسة الديمقراطية العسكرية في هذا الميدان خطوة هامة لرفع مستوى العمليات الحربية ، والاعداد التقني ، واحراز الانتصارات ، واظهار مواهب المقاتلين الاكفاء .

وهي تسمح للقادة بتدريب المقاتلين كما تسمح للمقاتلين بتدريب بعضهم وتدريب قادتهم ايضا. وتتم ممارسة الديمقراطية عادة عن طريق عقد اجتماعات يتم فيها تبادل الاراء وعرض المصاعب، ودراسة الوسائل والاساليب اللازمة لتجاوزها.

ولا تختلف الاراء حول عقد الاجتماعات الخاصة بالتدريب ، ولا تتعرض مثل هذه الاجتماعات الى ابة صعوبة . وهي تتم قبل التدريب لمناقشة البرامج والدروس والتمارين العملية ، والتحقق من امكانية تطبيقها وقدرتها على تحقيق الهدف المنشود . كما تتم بعد التدريب لتقييم النتائج، ووضع اسس العمل المشترك المقبل لتامين التعليم التبادل ومساعدة المتخلفين في الاغراد .

بشكل أفضل

اما بالنسبة للاجتماعات الخاصة بالقتال والعمليات الحربية ، فقد اختلف المنظرون الثوريون حولها . وهنالك رايان اساسيان متعارضان ، يقول اولهما : « وعلى الفرق الموجودة في الجبهة ان تعقد في اوقات القتال اجتماعات كبرى وصغرى من مختلف الانواع . وحسب توجيه قيادة الفرقة ينبغي حث الجنود على بحث كيفية مهاجمة مراكز العدو والاستيلاء عليها ، وكيفية انجاز واجبات القتال الاخرى . فاذا ما استغرق القتال عدة ايام توجب عقد عدة اجتماعات معالنة » (٧) . ولقد طبق هذا الراي مع تجاهل الحكمة الكامنة وراءه والتي دفعت الى وضعه وهي « رفع مستوى القتال » ، وادى تراكم الاخطاء وما نجم عنها من كوارث حربية الى ظهور راي ثان يهاجم مجالس المقاتلين في قلب العصابات الثائرة ويعتبرها « كالبرلمان البورجوازي للديمقراطية الاشتراكية ، وكالفن المتقرب من الشعب بالنسبة للفن الشعبي » (٨). ولكن هذا الراي لا ينفي عقد الاجتماعات على ان تكون لهدف محدود جدا « ومن الطبيعي انه يجب تشجيع وتطوير اجتماعات المناقشة السياسية والمقاتدية بين المقاتلين ، ولكن القرارات هي من شان قيادة يفترض ان يكون لديها تقدير واضح وصحيح في المجالين العسكري والانضباطي . اما اقتراح عقد اجتماع للمقاتلين في كل مناسبة فان ذلك يدفعهم الى فقدان الثقة بالقيادة، وفي النهاية بانفسهم . فهذه الاجتماعات تفكك الانضباط الواعي ، وتحرك الخلافات والانقسامات في قلب الفرقة ، وتضحي بقدر كبير من فاعليتها . وفي الكتابات عن الحرب الاسبانية اشارات الى الكيفية التي كان المقاتلون الجمهوريون يناقشون فيها احيانا اوامر القيادة وسط المعركة . فيرفضون مهاجمة هذا الموقع او ذاك ، او الانكفاء في وقت معين ، ويعقدون الاجتماعات لاختيار التكتيك الذي ينبغي اتباعه بينما العدو يطلق النار ، لهؤ النتائج فمعروفة.. وفي كوبا ادى الاستعمال العابر لهذا الاسلوب في بداية الحرب الى زرع التشويش والانشقاق في قلب العصابات الثائرة » (٩).

وتدل التجربة العملية المدروسة بعمق على ان من الممكن عقد الاجتماعات قبل المعركة عندما يسمح الوقت وبعد العدو بذلك . وتكون الغاية من هذه الاجتماعات مناقشة واجبات القتال وخطته . وتقديم الاراء ، وابتكار الوسائل والاساليب لحل المشكلات التقنية والتكتيكية التي تعرقل تنفيذ المهمة . ولا بد ان يضع المجتمعون نصب اعينهم فكرة ضرورة تنفيذ المهمة ، وان تسيطر عليهم الروح الايجابية الدائمة التي تبذل كل ما في وسعها لايجاد الحلول وتنفيذ المهمة بشكل افضل .

وهذا يعني ان تكرس هذه الاجتماعات لدراسة افضل السل لتنفيذ المهمات المطلوبة بصورة ديمقراطية ، دون مناقشة المهمات نفسها او اقرار صلاحيتها ، الا اذا طلب منهم ذلك ، وكان الوقت يسمح باجراء المناقشة ، ونقل النتائج الى القيادة ، واستلام اوامر جديدة تؤكد الاوامر السابقة او تعدلها . والمهم ان ينتهي النقاش والجدل عند اتخاذ القرار الذي يعدو ملزما . واذا ما تعذر اتخاذ القرار لصالح المهمة يضع من واجب القائد المسؤول اتخاذ القرار على مسؤوليته الكاملة . على ان تتم المراجعة والنقد بعد المعركة او في فترات توقف القتال . وتستهدف الاجتماعات التي تعقد بعد المعركة « تقييم العمل » ومناقشة التشكيلات والتحركات والارتباطات وحالات البسالة او التخاذل وتلخيص التجربة العملية بشكل يساعد على رفع المستوى القتالي بعد كل معركة .

٤ – الوعي السياسي

لا يمكن للحركة الديمقراطية ان تنمو الا في ظل وعي سياسي عميق . ولا بد من اجراء التوعية السياسية والتربية الايديولوجية ونشر الوعي الطبقي قبل البدء بممارسة الديمقراطية العسكرية . ولقد دلت التجربة على ان تطبيق الديمقراطية قبل امثلاء وعي سياسي كامل يؤدي الى تفتت وحدة القوة المسلحة ، وضعف انضباطها ، وتدني قدرتها على القتال .

والوعي السياسي شرط لازم اساسي كيما يفهم المقاتلون بان تنفيذ المهام وتقديم الروح رخيصة خلال ذلك ، هو تنفيذ طوعي لخدمة هدف مشترك ، وان المناقشة واستطلاع الاراء لا تستهدف سوى دفع تنفيذ المهمة الى امام . والوعي ضروري للقادة حتى يعرفوا بان وجودهم في مركز القيادة والمسؤولية لا يعني التمتع باميازات من اي نوع ، ولكنه يعني مزيدا من الجهد والعبء ، ومزيدا من تحمل المسؤوليات، ومزيدا من التعرض للنقد « ان الجميع تعرضون للحرمانات ذاتها . فكل واحد من قائد الجيش الى الظابط ينال بالاضافة الى وجبته من الارز خمسة سنتات بالضبط كل يوم ... لهذا لا يتماس الجنود ضد احد » (١٠) .

والوعي السياسي ضروري لفهم معنى النقد والنقد الذاتي ، واعتباره وسيلة من وسائل البناء لا الهدم ، وتقبله بلا حرج او حقد او رغبة بالانتقام ، والنظر اليه كوسيلة اساسية لاكتشاف مقدرة الجماهير الخلاقة ورفع احساسها بالمسؤولية الى الحد الاقصى ، ودفعها الى المشاركة في عرض المشكلات وانتقاد التقصير وايجاد الحلول بشكل يزيد تلاحم القادة مع المقاتلين ، وبرفع الكفاءة القتالية عند الجميع . والحقيقة ان الماركسيين – اللينينيين الواعيين لا يخافون النقد والنقد الذاتي ، وينظرون اليه كوسيلة لتدعيم الصفوف « فبتحليل خطا الامس يمكننا ان نتعلم تجنب اخطاء اليوم والغد »(١١) و « حزب البروليتاريا الثورية قوي بالقدر الكافي الذي يمكنه من نقد نفسه والاعتراف بدون خوف بخطئه ونقاط ضعفه » (١٢) .

ان المسائل العسكرية والسياسية مترابطة بشكل وثيق ، ولا يمكن فصل احداها عن الاخرى ، ولا نتبثق الاسس والمبادىء العسكرية الثورية البروليتارية الا عن سياسة ثورية بروليتارية . ولا يمكن تطبيق الديمقراطية العسكرية الا اذا ساد الوعي السياسي الثوري البروليتاري داخل التنظيم كله . وهذا ما يجعلنا نؤكد على انه لا يمكن اقامة الديمقراطية في المبادىء الثلاثة ، السياسي والاقتصادي والقتالي) الا على اساس النوعية السياسية والايديولوجية التي يكون الوعي الطبقي نواة لها . وكل محاولة لتجاوز هذه الحقيقة ، وتطبيق الديمقراطية قبل امتلاك الوعي السياسي عبارة عن محاولة عرجاء ، و « وتفليد مخصي » مقطوع الجذور .

٥ – الديمقراطية والانضباط

كان الانضباط في القوات المسلحة القديمة اداة اساسية للحد من شراسة الجنود وتوحشهم، وتامين تلاحم القطعة بشكل يجعلها كالة دقيقة تعمل بعقلية ورغبة فرد واحد دون ان يكون لافراد الالة اي حق في ابداء الراي او المشاركة في وضع الخطة . وكان الراي السائد هو سيادة الانضباط المبني على العنف والخوف والعقاب . وبقي هذا الراي المنبثق من التكوين الطبقي داخل المجتمع والجيش سائدا خلال عصور طويلة حتى جاء تطور العلاقات الاجتماعية والاقتصادية داخل المجتمعات الحديثة لينعكس على العلاقات داخل القوات المسلحة . وقام الكثيرون بانتقاد « الانضباط الدراكوني » القديم الذي لا يتلاءم مع طبيعة الانسان المعاصر وتكوينه ، وارتفع صوت اردان دوبيك الذي يعارض « ان يشعر الافراد على مختلف درجات السلم العسكري حتى نصل الى الجنود العاديين بان هناك سلطة واحدة ذات منعة ، سلطة واحدة معصومة من الخطا محصنة ضد النقد » (١٣) . ويعتقد بان رغبة القائد بفرض مثل هذا الشعور يعني الهبوط بمستوى المنفذين الى مستوى القصور الذاتي ، وبفقدهم ثقتهم بانفسهم وقدرتهم على الابداع وبجعلهم لا يحسنون التوجه عند اختفاء القائد لسبب من الاسباب . ولكن حركة تعديل الاوضاع الانضباطية بقيت محدودة اصلاحية لا تخرج عن نطاق العلاقات الاجتماعية السائدة المبنية على استغلال الاقلية المتميزة للاكثرية المسحوقة، رغم محاولتها التخفيف الظروف الظروف الحياتية لهذه الاكثرية المسحوقة بقية دفعها للعمل بشكل افضل والافادة من مواهبها الى ابعد حد ممكن .

وبقي الانضباط المفروض على القطعات فريسة فوقيا لا يقبل الجدل رغم مظهره المخيف الخالي من العنف والقسوة والاهانة التي كانت سائدة من قبل . ولم يظهر الانضباط الطوعي المبني على الاقناع والفهم المتبادل ، والتلاحم الطبقي ، ووحدة الهدف الا مع ظهور القوات المسلحة الثورية البروليتارية التي يسود في داخلها « اتفاق كامل في الراي مع اختلاف في المراتب لتامين متطلبات العمل » (١٤) . وهكذا سادت الروح الرفاقية بين القادة والمقاتلين وروح النظام